الصهيـونـيّة والاستعمار الاستيطانيّ: مقاربات فلسطينيّة

ندين روحانا عرين هوّاري
محرّران

مدى الكرمل
المـركـز العـربـي للـدراسـات الاجتماعية التطبيقية

الصهيونيّة والاستعمار الاستيطانيّ: مقارَبات فلسطينيّة
تحرير: نديم روحانا وعرين هوّاري

Zionism and Settler Colonialism: Palestinian Approaches
Edited by: Nadim N. Rouhana and Areen Hawari

التدقيق اللغويّ: حنّا نور الحاجّ
التصميم: أمل شوفاني
مسؤولة النشر والإنتاج: إيناس خطيب

لوحة الغلاف: "استيطان" للفنان الفلسطينيّ نبيل العناني.
نبيل العناني: فنان تشكيليّ، وُلد في قرية اللطرون (فلسطين) عام 1943.

ISBN: 978-965-7308-28-8
© كل الحقوق محفوظة 2023
مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
شارع هميچينيم (الملك جورج) 90، حيفا
هاتف: 048552035، فاكس: 048525973
www.mada-research.org
mada@mada-research.org

المحتويات

5 **المقدّمة**
ندیم روحانا وعرین هوّاري

19 **الباب الأوّل: الاستعمار الاستيطانيّ: مقارَبات نظريّة**

21 المقاومة الفلسطينيّة ومعضلة الشرعيّة لدى الاستعمار الاستيطانيّ في فلسطين: الصهيونيّة تردّ بالسرديّات الدينيّة
ندیم روحانا

57 جدليّة الاستيطانيّ والاستغلاليّ في بنْية الاستعمار الإسرائيليّ: الأراضي المستعمَرة عام 1967 نموذجًا
أحمد عزّ الدين أسعد

83 قراءة مقارِنة بين الحالتين الاستعماريّتين في فلسطين والجزائر
أباهر السقّا

119 الكولونياليّة الاستيطانيّة في السياق الإسرائيليّ _ الفلسطينيّ، تفكيك الاستعمار، وعلم اجتماع إنتاج المعرفة في إسرائيل
أريج صبّاغ خوري

173 بنيامين نتنياهو وإعادة إنتاج المشروع الصهيونيّ ضمن منظومة صراع الحضارات
مهنّد مصطفى

193 **الباب الثاني: السياسات الاستعماريّة الاستيطانيّة للمشروع الصهيونيّ**

195 الاقتصاد السياسيّ تحت النظام الكولونياليّ ونشوب ثورة 1936
محمود يزبك

221 البحث عن الجولان التوراتيّة: مُخيّلات يهوديّة وتأسيس الجغرافيا الاستيطانيّة في القرن التاسع عشر
عامر إبراهيم

249 سياسات نزع الطفولة ("اللا_طفلنة"): تعقُّب آثار الكولونياليّة الإسرائيليّة
نادرة شلهوب كيفوركيان

285 السياسة الحيويّة للمحو الطبقيّ الفلسطينيّ في سوق العمل الاستعماريّ
سراب أبو ربيعة قويدر

305 **الباب الثالث: في فاعليّة المستعمَر**

307 السيّدة كيرن كَييمت: تَشكُّل هُويّات رجوليّة فلسطينيّة
في ظلّ الحكم العسكريّ
عرين هوّاري

341 مفهوم التطبيع ضمن بنْية الاستعمار الاستيطانيّ في فلسطين
ما بين ثنائيّة الرفض والقبول
مَي البزور

387 الاستعمار الاستيطانيّ ومهجَّرو المدن الفلسطينيّة:
ما بين المدن المهجَّرة ومدن المهجَّرين
هبة يزبك

419 الذاكرة كموقع مقاومة: تحرير التاريخ من أَسْر حاضر مستعمَر
أميرة سِلْمي

447 المشروع الاستيطانيّ الصهيونيّ في الأغنية الشعبيّة السياسيّة:
قراءة في الشفاهيّة الفلسطينيّة الثوريّة 1917-1952
قَسَم الحاجّ

483 المساهِمون

بنيامين نتنياهو وإعادة إنتاج المشروع الصهيونيّ ضمن منظومة صراع الحضارات

مهنّد مصطفى

في خطاب لنتنياهو في المؤتمر الصهيونيّ العالميّ عام 2015، قال إنّ المفتي الحاجّ أمين الحسيني أقنع هتلر بالحلّ النهائيّ لمسألة اليهود في أوروبا، أي إبادتهم، أي إنّ هتلر أراد طردهم فقط لكن المفتي أقنعه بالإبادة (راڤِد، 2015، 21 تشرين الأوّل)، وبالتالي المفتي الفلسطينيّ هو المسؤول عن إبادة اليهود في أوروبا. أثار تصريح نتنياهو غضبًا شديدًا في إسرائيل والعالم، حيث يبرّئ تصريحُه النازيّةَ من المسؤوليّة الأيديولوجيّة عن فكرة إبادة اليهود، لدرجة أنّ ألمانيا احتجّت على هذا التصريح واعتبرته مسًّا بذكرى الكارثة اليهوديّة (رويترز، 2015، 21 تشرين الأوّل). وقد تراجع نتنياهو عن تصريحه بعد ردّ الفعل الذي اصطدم به. ولاحقًا، اعتبر مؤيّدوه أنّ هذا التصريح لم يُفهَم جيّدًا، وأنّ نتنياهو لم يقصد ما عبّرت عنه كلماته المجرَّدة، وأنّ صياغته للجملة لم تكن موفَّقة. هل هذا صحيح؟ يبدو أنّ المصدومين الإسرائيليّين واليهود من تصريحاته لم يقرأوا كتابه "مكان تحت الشمس"، ففي فصل بعنوان "حصان طروادة" (نتنياهو، 1999) يخصّص نتنياهو مساحة كبيرة للعلاقة بين النازيّة والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة والهُويّة القوميّة العربيّة، لا من منطلق تحالف المصالح السياسيّة فحسب، وإنّما كذلك من منطلق العلاقة الأيديولوجيّة المشتركة التي تتمثّل "في معاداة الحضارة الغربيّة واليهود". ففي عرضه لعلاقة الحاجّ أمين الحسيني بالنازيّة، "يتّضح" أنّ المفتي كان مسؤولًا عن إبادة يهود "من هنغاريا، ورومانيا، وبلغاريا، وكرواتيا، أي أنّ ألمانيا ورغم استعبادها من قِبل هتلر، سمحت للبعض الآخر منهم بالهرب إلى أرض إسرائيل وأماكن أخرى، واحتجّ المفتي على أنّ الألمان لم يتّخذوا الإجراءات الكافية لمنع هروب لاجئين يهود من البلقان" (ص 243). كذلك كان للمفتي دَوْر، عبر فوزي القاوقجي، في قتل يهود يوغوسلافيا. بَيْدَ أنّ دَوْر المفتي، حسب نتنياهو، لم يقتصر على إقناع القيادة النازيّة بإبادة اليهود في مواقع معيّنة من أوروبا، وإنّما أراد ما هو أكثر من ذلك؛ أراد إبادة كلّ اليهود في أوروبا، ولتحقيق ذلك نجح، حسبما يقول نتنياهو، بإقناع هتلر بتبنّي الحلّ النهائيّ لمسألة اليهود، أي إبادتهم؛ وهو ما نفاه مؤرّخون إسرائيليّون (أدِيرِت، 2015، 21 تشرين الأوّل). يقول نتنياهو (1999):

> في 13 أيّار 1943، على سبيل المثال، قدّم المفتي كتابًا إلى وزير الخارجيّة الألمانيّ روبن تروب، احتجّ فيه على خطّة تسمح بهجرة حوالي 4,000 ولد يهوديّ من بلغاريا. ورغم كلّ هذا، لم يكن المفتي راضيًا، كان هدفه أبعد من منع هروب اليهود، كان يرغب في أن يرى إبادتهم جميعًا. قال ديطِر ڤيسيلتْسْني، نائب أدولف أيخمان[1]، إنّ الحسيني كان له دور في اتّخاذ قرار إبادة يهود أوروبا. ويجب عدم تجاهل دوره هذا، فقد اقترح المفتي، أكثر من مرّة، على السلطات الألمانيّة التي كان على اتّصال بها، وعلى رأسها هتلر، وهِمْلِر[2]، إبادة يهود أوروبا، كان يرى ذلك حلًّا مناسبًا للقضيّة الفلسطينيّة (ص 244).

ولم يكتفِ نتنياهو باتّهام المفتي، بل اتّهم ياسر عرفات كذلك بالمسؤوليّة المباشرة عن انتشار "الإرهاب العالميّ"؛ إذ يصفه لاحقًا بأنّه الشخص الذي أسهَمَ في انتشار "الإرهاب الدوليّ" أكثر من أيّ شخص آخر. "يرأس الرجل منظّمة هدفُها السياسيّ المركزيّ هو إبادة دولة إسرائيل، وهو مسؤول شخصيًّا عن عدد لا يُحصى من الأعمال الفظيعة ضدّ مواطنين في كلّ بلدان العالم الحرّ تقريبًا" (نتنياهو، 1996، ص 108). ويعتقد نتنياهو أنّ إقامة الحكم الذاتيّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة في أعقاب اتّفاق أوسلو شكّلت أحد "التعزيزات الهامّة التي حصل عليها الإرهاب الإسلاميّ منذ إقامة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران" (المصدر السابق، ص 99).

يمثّل خطاب نتنياهو هذا جزءًا من المقاربة الاستشراقيّة للمشروع الصهيونيّ التي يبتغي من خلالها مَوْضَعة صراع الفلسطينيّين ضدّ المشروع الصهيونيّ على أنّه حلقة مكمّلة للصراع بين الخير والشرّ من جهة، وللصراع بين حضارتين يمثّل فيها اليهود رأس الحربة للحضارة الغربيّة، مقابل الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة التي يمثّل فيها الفلسطينيّون رأس الحربة.

يرمي هذا الفصل إلى دراسة وتحليل فكر بنيامين نتنياهو ومقاربته للمشروع الصهيونيّ ولمواجهة الفلسطينيّين له، باعتباره مشروعًا "يمثّل الحضارة الغربيّة في بعدها المسيحيّ _ اليهوديّ"، متأثّرًا في تنظيراته بمنظومة صدام الحضارات التي سنأتي على ذكرها لاحقًا. وفي ذلك هو يمزج في منطقه التبريريّ بين الادّعاءِ الاستعماريّ التقليديّ "جلب التحضُّر"، والادّعاءِ الاستعماريّ الاستيطانيّ الذي يعتمد على "الحقّ الدينيّ".

---

1. أدولف أيخمان، هو مسؤول شعبة اليهود في الشرطة السرّيّة النازيّة ("الجستاپو"). هرب بعد الحرب وقبض عليه رجال الموساد في الأرجنتين عام 1960، وحوكِمَ في إسرائيل، وقضى حكمًا بالإعدام كان الأوّل والأخير في إسرائيل حتّى الآن. وكان ديطِر ڤيسيلتْسْني هو نائبه في هذه الشعبة (اليونسكو والكونغرس اليهوديّ العالميّ، د.ت.).

2. هايْنْريخ هِمْلِر كان رئيس الشرطة السرّيّة ووزير الداخليّة في النظام النازيّ.

لم يتوقّف مشروع نتنياهو الأيديولوجيّ والسياسيّ عند الاستعمار التقليديّ الذي يدّعي جلب التحضُّر ويسعى إلى استغلال أصحاب البلاد ونهب مواردهم، وإنّما يرى منظوره الاستعماريّ الاستيطانيّ الفلسطينيّين "شعبًا جرى إنتاجه" وَ "عابرين قذفتهم الرياح"، وبالتالي يجب استبدالهم والسيطرة على أرضهم؛ وهو ما ظهر جليًّا في سياسات نتنياهو وفي القوانين التي عملت على سَنّها حكوماتُهُ المختلفة (مصطفى، 2018). ولكن هذا الفصل سوف يقارب مشروع نتنياهو من زاوية تنظيره المقترن بِـ "صراع الحضارات" على نحوٍ خاصّ.

يزعم هذا الفصل أنّ نتنياهو كان السياسيّ الأوّل الذي أَطَّرَ على نحوٍ منهجيٍّ المشروعَ الصهيونيّ في إطار منظومة صراع الحضارات، معتبرًا أنّ المشروع الصهيونيّ جزء من الحضارة الغربيّة التي تعيش في صراع حضاريّ مع الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة. يضاف هذا الادّعاء إلى مدماك آخَر من الادّعاءات يتبنّاه نتنياهو مُفادُهُ أنّ المشروع الصهيونيّ هو مشروع تحديثيّ للبلاد. لا يختلف نتنياهو في ذلك عن الآخرين؛ فالحركة الصهيونيّة والاستيطان والهجرة اليهوديّة، بنظر الآباء المؤسِّسين، كانت مشروعًا تحديثيًّا لفلسطين. يقول نتنياهو في هذا الصدد:

> لقد غيّرت موجات المهاجرين التي جاءت الواحدة تلو الأخرى منذ عام 1882 وجه البلاد كلّيًّا، حيث شقّ اليهود الطرق وعبّدوها، وأقاموا المدن والمستوطنات والحقول الزراعيّة، والمستشفيات، والمصانع والمدارس. وكانت كلّما زادت الهجرة اليهوديّة، زاد عدد السكّان العرب في البلاد أيضًا، حيث وصلت إلى البلاد هجرة عربيّة جماعيّة بحثًا عن إمكانيّات العمل التي توفّرت لهم، ومستوى الحياة الأفضل، الذي تَوفَّرَ لهم بفضل الاقتصاد اليهوديّ النشط (نتنياهو، 1999، ص 94-95).

ويتابع نتنياهو زاعمًا أنّ العرب في فلسطين هم مجرّد عابرين:

> نصبوا خيامهم في حقولها الرعويّة، أو اتّخذوا لأنفسهم ملاجئ في خرابها، إنّهم لم يؤسّسوا شيئًا فيها، لأنّهم غريبون عن الأرض، لم يسبق أن ملكوها، ورياح الصحراء التي جلبتهم إليها، قادرة على حملهم في أحد الأيّام، دون أن يخلّفوا وراءهم أيّة آثار يمكن أن تدلّ على عبورهم عليها (نتنياهو، 1999، ص 101).

حول العلاقة بين الاستشراق والاستعمار:

يشير كلّ من بورك وبروشاسكا (2008) إلى أنّ الاستشراق كخطاب للقوّة الاستعماريّة يعمل على عَقْلَنة فعل المستعمِر نفسه أوّلًا وتبرير هيمنته، من خلال تشويه وتحريف الواقع تحت الاستعمار، وثانيًا من خلال العمل على صياغة عالَم الثقافة للمستعمِر والمستعمَر معًا. نظريًّا، العلاقة بين مصطلح "الاستشراق" (Orientalism) ومصطلح "الاستعمار" (Colonialism) للشرق هي علاقة تكامليّة. وبالفعل، فإنّ كلّ مشروع استعماريّ للشرق رافقه جهد استشراقيّ يغذّي المشروع ويتغذّى منه. في ما يلي، يعرض المقال ويصنّف الظواهر الاستشراقيّة الفعليّة وَفقًا للتعريف النظريّ للاستشراق كما عرضه إدوارد سعيد. ستصنَّف الظواهر الاستشراقيّة بحسب المشروع الاستعماريّ كذلك (على سبيل المثال: الاستعمار الفرنسيّ والاستعمار الإنچليزيّ). لا أدّعي عرض إحصاء متكامل ومُحْكَم لجميع الظواهر والأدوات الاستشراقيّة التي رافقت المشاريع الاستعماريّة المذكورة، بل أحاول عرض أمثلة نموذجيّة لأصناف الجهود الاستشراقيّة وعلاقتها المتبادلة بالمشاريع الاستعماريّة.

عرض إدوارد سعيد (2017) ثلاثة معانٍ للاستشراق متداخلة. وَفقًا للمعنى الأكاديميّ، كلّ من يعلّم عن المشرق، أو يكتب عنه، أو يبحث فيه، هو مستشرق. ثانيًا، وَفْقًا للمعنى المعرفيّ، الاستشراق هو أسلوب فكريّ يرتكز على تمييز معرفيّ بين الشرق (Orient) والغرب (Occident). وأخيرًا، يدلّ المعنى التاريخيّ للاستشراق على المؤسّسات والشركات الكبرى التي تتعاطى مع الشرق منذ القرن الثامن عشر. الاستشراق، بناء على هذه المعاني، كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالاستعمار. وَفْقًا لسعيد، يشكّل الاستشراق "أسلوبًا غربيًّا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلّط عليه". ويضيف كذلك أنّ "الاستشراق [...] ينحصر في العدوان والنشاط وإصدار الأحكام، وفرض الحقائق والمعرفة" (المصدر السابق).

من هذه التعريفات ينبع وجود روابط أكاديميّة، معرفيّة ومؤسّساتيّة بين الاستعمارِ بوصفه مشروعًا سلطويًّا والاستشراقِ. هذه الروابط قد تكون ثنائيّة الاتّجاه؛ أحد اتّجاهيها يعبّر عن تأثير الاستشراق على الاستعمار، والآخَر يعبّر عن التأثير العكسيّ؛ إذ إنّ الجهود لبحث المشرِق غذّت الاستعمار الغربيّ للمشرق بأفكار مسبقة وتوجُّهات، ولكن الاستعمار المشبَع بهذه الأفكار حاول أن يُخضِع المشرِق لها أيضًا (المصدر السابق)، أي أن يجعل المشرِق ملائمًا لصورته في ذهن المستعمِرين. فلعلّ أبرز العلاقات التكامليّة بين الاستعمار والاستشراق تتمثّل في غزو ناپليون لمصر والشام (1789)؛ إذ سعى ناپليون لدراسة المشرق قبل الغزو. رأى الفرنسيّون أنفسهم مخلِّصين للمشرِق "الجاهل والبدائيّ"، وقد اصطحب ناپليون معه عدّة باحثين في العلوم الاجتماعيّة وعلوم الطبيعة لدراسة وتوثيق مصر والشام (Lockman,

2009).[3] وعلى الرغم من أنّ سيطرة الفرنسيّين على مصر لم تَطُلْ، فإنّ التراكم المعرفيّ الذي تولَّدَ منها غذّى المسعى الاستعماريّ الفرنسيّ للجزائر (Ibid).

في القرن التاسع عشر، أخذ الاستشراق يتجسّد كمجال بحث أكاديميّ في عدّة مؤسّسات وإصدارات أكاديميّة (Ibid). وقد أقيمت مدرسة اللغات المشرقيّة الحيّة (The school of living oriental languages) في باريس في أواخر القرن الثامن عشر، ونمت عدّة أجيال من المستشرقين الأكاديميّين خلال قرنها الأوّل. من بين طلائعيّي المستشرقين كان "دي ساسي" (Silvestre de Sacy) الذي يُعتبر المؤسِّسَ للنهضة الاستشراقيّة، والذي تُمثِّلُ استشارتُه للحكومة الفرنسيّة المستعمِرة بدايةَ تأثير الدراسة الاستشراقيّة الجديدة على الحكومة الفرنسيّة المستعمِرة.[4]

تباعًا لساسي، كان افتراض معظم المستشرقين الأكاديميّين وغيرهم أنّ محور الأبحاث الاستشراقيّة يجب أن يكون فقهَ اللغة (Philology). وقد اختّص العديد من باحثي الشرق في ترجمة النصوص العربيّة والتركيّة والفارسيّة الكلاسيكيّة إلى اللغات الأوروبيّة لتكون هذه النصوصُ المرجعيّاتِ الأكاديميّةَ لمن يريد دراسة الشرق (سعيد، 2017). كان الافتراض أنّ دراسة اللغات الشرقيّة وتحليل النصوص الشرقيّة الكلاسيكيّة يكفيان لفهم الطابع الحضاريّ الجوهرانيّ للشرق. وَفْقًا لهذا الافتراض، الطابع الحضاريّ للمشرق هو طابع ثابت وخارج عن التاريخ، وبالإمكان إدراكه من خلال النصوص الكلاسيكيّة الشرقيّة، وهو ما أدّى إلى نظرة تصوِّرُ الشرقَ على أنّه وحدة متماسكة تميل إلى الثبات والجمود والتصلُّب (المصدر السابق).

هذه النظرة المعرفيّة للشرق كانت واضحة في أعمال العديد من الأدباء والرسّامين والفنّانين الآخرين (Laffey, 1969; Nash, 1930)، وذلك من خلال بروز عدّة عناصر في عرض المشرق: المشرِق كمكان روحانيّ ورومانسيّ، والإنسان المشرقيّ كإنسان تقوده المشاعر والشهوة واللذّة الحسّيّة، وذلك بخلاف الإنسان الغربيّ الذي يقوده المنطق (سعيد، 2017). هذه النظرة إلى الرجل المشرقيّ، وما يليها من نظرة إلى المرأة المشرقيّة، كانت مجسَّدة في الفنون التصويريّة إلى حدّ كبير.[5]

3. صدرت دراسات هؤلاء الباحثين لاحقًا في الغرب في كتاب "توصيف مصر" (Description de l'Egypte) (Lockman, 2009).

4. كان مستشارًا للحكومة الفرنسيّة في الشؤون الإسلاميّة، وقد أسهم كذلك في إقامة مركز "المجتمع الآسيويّ" (The Asiatic society)، وهي منظّمة ضمّت باحثين متنوّعي المجالات في شؤون آسيا والمشرِق من جميع أنحاء العالم (Lockman, 2009).

5. منذ ابتكار آلة التصوير، كان المشرِق موقعًا مثيرًا للمصوّرين الغربيّين (Behdad & Gartlan, 2013)، بل إنّه حتّى قبل عصر التصوير، كان المشرقيّون موضوعًا أثار كثيرًا من الرسّامين الغربيّين، وبالإمكان أن ترى على نحوٍ ثابت في معظم أعمالهم طابعَ الرجل المشرقيّ المليء بالشهوات والذي تمثّل في الفنّ (كالرسم والتصوير -على سبيل المثال). فقد سعت بعض المشاريع الاستشراقيّة في زمن الاستعمار الغربيّ للشام، أن تقوم ببعض المشاريع الفنّيّة التي ترمي إلى إخضاع المشرِق (Beckles, 2013).

وأمّا الاهتمام الاستشراقيّ البريطانيّ في المشرق، فقد ازداد مع الانسحاب الفرنسيّ من مصر وصعود محمّد علي إلى السلطة، ورافقته مجموعة من المشاريع الاستشراقيّة الأكاديميّة والمعرفيّة والمؤسّساتيّة. في تلك الفترة، حصلت بعض التغييرات المعرفيّة في ما يتعلّق بالمشرِق نتجت عن تراكم العلاقة بين المغرب والمشرِق، بالإضافة إلى تراكم الدراسات المشرقيّة للنصوص الكلاسيكيّة الإسلاميّة خلال القرن التاسع عشر. هذه التراكمات ولّدت مجموعة افتراضات اتّخذها المستشرقون البريطانيّون مسلَّمات (Lockman, 2009). فمن ناحية، ظهر التيّار الذي رأى المشرِق منبعًا للرومنسيّة والشهوات، ومقابله ظهر تيّار استشراقيّ أكثر تطرُّفًا يرى الإنسان المسلم كائنًا مختلفًا ومتخلّفًا اختلافًا جذريًّا عن الإنسان الغربيّ (Ibid). عرض هذا التيّار الإنسان المشرقيّ ("Homo Islamicus") على أنّه إنسان ينتمي إلى حضارة في تراجع مستمرّ بالتوازي مع صعود الحضارة الغربيّة. هذه النظرة تغذّت من الفكرة التي ترى التاريخ الإنسانيّ سلسلةً من الحضارات المتعاقبة والتي كانت مؤثّرةً في الغرب وبارزةً في كتابات العديد من المفكّرين والفلاسفة -هيجل وشبينجلر وآخرين.[6]

من هذه النظرة، بدا الاستعمار أمرًا طبيعيًّا ملائمًا لطبيعة التاريخ، بل بالإمكان النظر إليه كأمر مطلوب؛ إذ إنّ الحضارة الإسلاميّة بعد أوْجها في القرون السابقة "باتت حضارة استبداديّة، غير مرنة وغير متقبّلة للتأثيرات الخارجيّة" (Ibid). ومن هنا فإنّ كلّ من كتب عن الشرق يراه مكانًا يحتاج من الغرب أن يوليه اهتمامًا، ويقوم بإعادة بنائه أو تخليصه (سعيد، 2017). استُخدِمت هذه النظرة تبريرًا نظريًّا للاستعمار،[7] وتلازمت هذه النظرة الثنائيّة بين المتقدّم والمتحضّر الغربيّ صاحب المسؤوليّة تجاه الشرق بالسفر إليه وتولّي أمر سكّانه (المصدر السابق). وكأنّ الشرقيّ ينتمي إلى جنس محكوم لا بدّ من إخضاعه.

قصارى القول، على الصعيد المعرفيّ كان هنالك افتراضان أساسيّان يشيّدان النظرة الاستشراقيّة للاستعمار. الأوّل كان سائدًا في سياق الاستعمار الفرنسيّ للمشرِق، وبناءً عليه الإنسانُ المشرقيّ هو إنسان تقوده الشهوات والملذّات. والثاني كان سائدًا في سياق الاستعمار البريطانيّ للمشرِق، ووَفقًا له الإنسانُ المشرقيّ هو إنسان متخلّف وينتمي إلى حضارة منحسرة وباتت غير متقبّلة للعلم والتطوُّر. كان لهذين الاقتراضين تأثير متبادل مع المشاريع الاستعماريّة. في الحالة الاستعماريّة الاستيطانيّة الصهيونيّة، الخطابُ الاستشراقيّ الصهيونيّ الملازم للمشروع الاستعماريّ انطلق من نزع الرابط بين الفلسطينيّين ووطنهم،

6. من الأمثلة البارزة التي تمثّل هذا التيّارَ المستشرقَ المتطرّفَ كان كتاب رينان (1883)، الذي يحمل العنوان "الإسلام والعلوم"، ويعرض الرجل "المحمّديّ" (المسلم) على أنّه رجل "حاقد على التعلُّم، والعلوم، وكلّ ما تمثّله الروح الغربيّة" (مقتبَس لدى: سعيد، 2017).

7. في كتاب "فصول من مبادئ القانون الدوليّ" -على سبيل المثال- يقول الكاتب إنّه يجب على الدول المتقدّمة أن تضمّ أو تحتلّ مناطق الأرض التي توصف بأنّها غير متحضّرة (Westlick, 1894).

بادّعاء أنّهم مجرّد "عابرين" قذفتهم الرياح، كما يقول نتنياهو في كتابه "مكان تحت الشمس"، ومع أوّل هبّة رياح سوف تقذفهم إلى الخارج، والثاني اعتبار المشروع الصهيونيّ مشروعًا تحديثيًّا للشرق (Sadi, 1997)، وهو خطاب يرافق نتنياهو حتّى اليوم في عرض إسرائيل بوصفها قوّة تكنولوجيّة تستطيع تحديث الشرق. لذلك يُحاجج هذا الفصل بأنّ نتنياهو انطلق -في بتره للعلاقة بين الفلسطينيّين ووطنهم- من خطاب استشراقيّ، رابطًا مقاومة الفلسطينيّين للمشروع الاستعماريّ الصهيونيّ بصراع الشرق ضدّ الحضارة الغربيّة، ومعتبرًا المشروع الصهيونيّ رأس الحربة في هذا الصراع وممثّلًا للحضارة الغربيّة في صراعها التاريخيّ مع الحضارة العربيّة الإسلاميّة.

الأسس الاستشراقيّة في المشروع الصهيونيّ

ظهر تأطير الصراع الحضاريّ على نحوٍ مكثّف لدى نتنياهو في كتابه "مكان تحت الشمس". ولم ينطلق نتنياهو من هذه المنظومة في تحليلاته ومقارباته للصراع والمشروع الصهيونيّ. فكتابه "مكان تحت الشمس" في النسخة الإنجليزيّة (Netanyahu, 1993)، سبق مقالَ صموئيل هانتنچتون وكتابَه حول صدام الحضارات،[8] اللذين صكّ من خلالهما نموذجًا فكريًّا ("پَرَدايم") جديدًا لفهم وتفسير وتحليل العلاقات الدوليّة بعد الحرب الباردة، أطلق عليه نموذج "صدام الحضارات". ولم يكن هانتنچتون الوحيد من الباحثين والمنظّرين الذي نظّر وكتب عن صراع الحضارات، ولكنّه كان أشهَرَهم. فنتنياهو ليس منظِّرًا سياسيًّا، بل هو يقرأ أحداثًا سياسيّة وتاريخيّة ويعرضها في كتبه، ولكن مقاربة صدام الحضارات هي الإطار الأهمّ الذي يَصْلح لتأطير كتاباته نظريًّا. وبكونه سابقًا لهانتنچتون، ليس من المبالَغ به القول إنّ نتنياهو هو أحد أقطاب اليمين المحافظ عالميًّا، وسبق صعود اليمين المتطرّف في الغرب في العَقد الأخير. وتماهيه مع المحافظين الجدد في التسعينيّات وبداية الألفيّة الجديدة كان طبيعيًّا من الناحية الفكريّة، وتماهيه لاحقًا، أو تماهي اليمين المتطرّف في الغرب معه، هو كذلك طبيعيّ جدًّا.

قبل عرض تصوُّرات نتنياهو وتأطيره للمشروع الصهيونيّ والصراع مع الفلسطينيّين والعرب والمسلمين كصراع حضارات، سنعرض أهمّ ما يحمل هذا النموذج الفكريّ الذي صكّه هانتنچتون، مع التأكيد مرّة أخرى أنّ أفكار نتنياهو ومقولاته كتبها قبل مقولة هانتنچتون دون أن يؤطّرها في هذا النموذج الفكريّ والمعرفيّ. وكذلك لن ننقد ونفكّك هذا النموذج الفكريّ في هذا الفصل؛ إذ لقد فعل ذلك كثيرون -وعلى رأسهم المفكّر الفلسطينيّ إدوارد سعيد- بتعرّضهم لنقده من الناحية المفاهيميّة والمعرفيّة.

8. نشر هانتنچتون مقاله في صيف عام 1993، في الدوريّة "علاقات خارجيّة" (Huntington, 1993)، وصدر كتابه، الذي أعقب المقال وتناول الموضوع ذاته، عام 1996 تحت الاسم "صدام الحضارات" (Huntington, 1996).

ينتمي هانتنچتون إلى اليمين المحافظ من حيث أفكاره، وهو اليمين الذي هَيْمَنَ على السياسة الخارجيّة الأمريكيّة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 التي أعطت دفعة وقوّة لخطاب اليمين المحافظ في الولايات المتّحدة ومنظِّريه الذين اعتبروا أنّ الصراع في العالم هو صراع حضاريّ، وليس سياسيًّا أو إقليميًّا. وانتمى نتنياهو إلى هذا اليمين وأفكاره في بداية حياته السياسيّة المبْكِرة في السبعينيّات والثمانينيّات، وبنى علاقات قويّة مع شخوصه من سياسيّين ومنظِّرين وباحثين. كان ذاك قبل أن يتحوّل نتنياهو في العَقد الأخير إلى يمين متطرّف. وينتمي إلى هذا التيّار كذلك المؤرّخ الأمريكيّ اليهوديّ برنارد لويس، الذي أشار في إحدى مقالاته التي سبقت مقالة هانتنچتون إلى حتميّة الصدام الحضاريّ بين الغرب والإسلام. ففي مقال نشره لويس في العام 1990 حول "جذور السخط الإسلاميّ"، يقول:

> ينبغي أن يكون واضحًا الآن، أنّنا نواجه شعورًا وحركة يتجاوزان كثيرًا مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسّدها. ولا يقلّ هذا عن كونه صدامًا بين الحضارات. إنّه ردّ فعل غير عقلانيّ، ولكنّه مرتبط بخصم قديم لتراثنا اليهوديّ المسيحيّ ولِما نحن عليه في الحاضر، وضدّ توسّعهما معًا. ومن جانبنا من المهمّ جدًّا ألّا نَسقط أيضًا في ردّ الفعل غير العقلانيّ والمتأصّل في التاريخ ضدّ هذا الخصم (سعدي، 2006، ص 85).

يشير لويس أنّ الحضارة الغربيّة تستند إلى التراث اليهوديّ المسيحيّ، وتلك مقولة يتبنّاها اليوم اليمين المتطرّف في أوروبا في مواجهة المسلمين الذين يعيشون أو يتوافدون إلى أوروبا، كما أنّه يعتبر الحضارة العربيّة والإسلاميّة غير عقلانيّة وتحمل عداء متأصّلًا وتاريخيًّا للحضارة الغربيّة. في حين أنّ لويس ركّز على الصدام الحضاريّ بين الغرب والإسلام، وذلك بسبب تخصُّصه في التاريخ الإسلاميّ، ممّا جعله المرجعيّة الاستشراقيّة للمحافظين والمحافظين الجدد في ما يتعلّق بالإسلام والتاريخ الإسلاميّ، أشار هانتنچتون إلى سبع حضارات في العالم ستتصارع في النظام الدوليّ، ولكنْ ممّا لا شكّ فيه أنّ لويس أثّر في مقولاته على تأطير هانتنچتون النظريّ عندما تناول في كتابه الحضارة الإسلاميّة، معتبرًا أنّ الصراع الحقيقيّ سيكون بين الغرب والإسلام. وحملت كتابات نتنياهو ومقولاته -ولا سيّما في كتابه "مكان تحت الشمس"- مثل هذه المقولات حرفًا بحرف، ومنها ما أشار إليه لويس في مقاله، أنّ كراهيَة المسلمين للغرب تعود إلى رفضهم للقِيَم الغربيّة؛ وذلك بسبب سلسلة من الإحباطات المتتالية التي تتجسّد في فقدانهم النفوذ العالميّ. ثمّة مقولة سيردّدها نتنياهو كثيرًا في خطاباته مُفادُها أنّ هدف "الإسلام المتطرّف" هو السيطرة على العالم والقضاء على قِيَم الغرب. بَيْدَ أنّ نتنياهو لا يعرّف في كتاباته مفهوم "الإسلام المتطرّف"، ويمكن القول من

متابعة كلّ خطاباته وقراءة كتبه إنّ كلّ عربيّ أو مسلم يتحدّى المشروع الصهيونيّ والنفوذ الغربيّ هو "إسلاميّ متطرّف" -وإن كان يحمل فكرًا قوميًّا.

يعتقد هانتنچتون أنّ الصدام المركزيّ في صراع الحضارات سيكون بين الإسلام والغرب؛ وذلك بسبب موقع الإسلام في الخريطة الجيو_سياسيّة المعاصرة. يشير هانتنچتون إلى بواعث صراع الحضارات، ومنها أنّ الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات حقيقيّة، وإلى ازدياد الوعي الحضاريّ بسبب التفاعلات والاحتكاكات بينها، وتراجع دَوْر الدولة كمصدر للهُويّة، فضلًا عن أنّ صعود الغرب إلى أَوْج قوّته دفع الشعوب الأخرى للشعور بالحنين والعودة إلى جذورها الحضاريّة، كما أنّ الاختلافات الحضاريّة غير قابلة للتسوية والحلول الوسط (Huntington, 1996). ويخصّص هانتنچتون في كتابه حيّزًا لمناقشة المسألة الديمچرافيّة، بوصفها من بواعث الصدام الحضاريّ، إذ يعتقد أنّ تكاثرَ المسلمين الطبيعيَّ سيدفع بهم إلى الهجرة إلى الغرب، وهذا الأمر سيشكّل تحدّيًا ثقافيًّا للحضارة الغربيّة، وسيحرّك الصدام الحضاريّ ويضخّ فيه حيويّة جديدة؛ فالمسلمون لن يتخلّوْا عن ثقافتهم، وسيعملون على الحفاظ عليها، بل على نشرها في الغرب كذلك -وهنا تكمن خطورة التكاثر الديمچرافيّ على الغرب.

وبالعودة إلى برنارد لويس، نجد أنّه في لقاء أَجْرَتْه معه صحيفة "هآرتس" الإسرائيليّة عام 2001، حول تأطير الصراع العربيّ الإسرائيليّ على أنّه صراع حضاريّ، يقول: "أعتقد أنّ هناك الكثير من هذه الحقيقة في هذا الأمر، الفرق لا يكمن فقط بين ديانتين مختلفتين، وإنّما بين كتلتين حضاريّتين مختلفتين" (سعدي، 2006، ص 85-86). يمكن القول إنّ برنارد لويس كان أوّل مَن استخدم المصطلح "الإرهاب الإسلاميّ"، وأدخله إلى قاموس اليمين المحافظ في الولايات المتّحدة، وذلك في المقال القصير الذي نشره في الكتاب الذي حرّره نتنياهو عام 1987 بشأن الإرهاب. وقد وضع لويس عنوان المقال على صيغة سؤال: "إرهاب إسلاميّ؟" (لويس، 1987، ص 85). يناقش لويس في هذه المقالة فكرة استخدام مصطلح "إرهاب إسلاميّ"، وهو يرى أنّه في الإمكان استخدام هذا المصطلح، على الرغم من مقدّمته القصيرة جدًّا والخاطفة التي تشير إلى معارضة الإسلام للإرهاب، ولكنّه يتابع في مقاله قائلًا إنّ الإسلام يحمل جوهرًا سياسيًّا مطبوعًا به، كما أنّ السياسة في الشرق هي في جوهرها دينيّة. وبعد ذاك، يعرض لويس مبرّراته لاستخدام المصطلح "الإرهاب الإسلاميّ"، في كون الإسلام مصدر شرعيّة السيادة والتجنيد للأفكار المتعلّقة بالإرهاب. ويشير لويس أنّ الصراع بين الإسلام والعدوّ الخارجيّ لا ينتهي إلّا باستعباد العدوّ الخارجيّ أو باعتناقه الإسلامَ. مقال لويس لا يجيب على نحوٍ قاطع عن عنوان المقال؛ فهو مقال غير متلاحم من حيث الأفكار والمعطيات والصيرورات التاريخيّة، ولكنّه يحاول الوصول إلى نتيجة مُفادُها أنّ الإرهاب له جذور فكريّة وتاريخيّة في الإسلام، دون أن يقدّم جوابًا قاطعًا عن سؤاله.

فلسطين: مركز لصراع الحضارات

سرديّة المستعمِر

يزعم هذا الفصل أنّ نتنياهو كان من السياسيّين الأوائل الذين أطّروا على نحوٍ منهجيٍّ المشروعَ الصهيونيّ في إطار منظومة صراع الحضارات، معتبرًا أنّ المشروع الصهيونيّ جزء من الحضارة الغربيّة التي تعيش في صراع حضاريّ مع الحضارة العربيّة ـ الإسلاميّة. يعتبر نتنياهو أنّ إنتاج شعب فلسطينيّ وهُويّة وطنيّة فلسطينيّة كان مؤامرة عربيّة لإسقاط حقّ اليهود في فلسطين.

> فطيلة هذا التاريخ الطويل، لم يُعْرب السكّان العرب في أرض إسرائيل، ولو تلميحًا، عن رغبة في الاستقلال القوميّ، أو فيما يعرف اليوم بِـ "تقرير المصير". كان هنالك عرب عاشوا في أرض إسرائيل مثلما عاش عرب آخرون في أماكن أخرى كثيرة، ولكن لم يكن هناك شعب فلسطينيّ ذو وعي قوميّ أو هُويّة قوميّة، أو حتّى مصالح قوميّة مشتركة، ومثلما لم تكن دولة فلسطينيّة، لم يكن شعب فلسطينيّ، أو ثقافة فلسطينيّة (نتنياهو، 1999، ص 100-101).

يقارن نتنياهو المرّة تلو الأخرى "الشعب الفلسطينيّ" (الذي حين يَذكره يضعه على هذا النحو بين مزدوجين) بالألمان الذين كانوا يعيشون في إقليم السوديت التشيكوسلوڤاكيّ في ثلاثينيّات القرن الفائت. ويشير إلى أنّه في إطار سعي النازيّين إلى تفكيك تشيكوسلوڤاكيا اخترعوا شعبًا خياليًّا هو "الألمان السوديت".[9] وعلى غرار السوديت، أكّد نتنياهو في كتابه أنّ الدول العربيّة عرفت أنّ سيطرتها على الضفّة الغربيّة ستحسم مصير إسرائيل، "ولذا قامت بشنّ حملة تهدف إلى إقناع العالم والسكّان العرب في هذه المنطقة أنّهم أبناء شعب مستقلّ

9. السوديت إقليم يقع في غرب تشيكيا على الحدود مع ألمانيا. كان سابقًا جزءًا من الإمبراطورية النمساويّة المجريّة. وعقب هزيمة ألمانيا في الحرب العالميّة الأولى، قرّر مؤتمر الصلح في باريس اقتطاعه من ألمانيا وإلحاقه بتشيكوسلوڤاكيا. وكان 95% من سكّانه هم من الألمان؛ ولذا طالب هتلر عام 1938 بإجراء استفتاء شعبيّ بين سكّان الإقليم ليقرّروا فيه إمّا البقاء مع تشيكوسلوڤاكيا أو الانضمام إلى ألمانيا. ورفض رئيس تشيكوسلوڤاكيا ذلك، واعتبره تدخّلًا في شؤون بلده الداخليّة، فهدّد هتلر باعتماد القوّة لتحقيق ذلك، وهو ما أدّى إلى تأزُّم العلاقات الدوليّة في أوروبا نظرًا إلى أنّ تشيكوسلوڤاكيا كانت قد وقّعت اتّفاقيّات تحالف مع فرنسا والاتّحاد السوڤييتيّ، وبالتالي إذا قام هتلر بشنّ حرب ضدّ تشيكوسلوڤاكيا فإنّه سيُلزم الدولتين بالوقوف إلى جانبها. وبغية الخروج من هذا المأزق، دعا رئيس الحكومة البريطانيّة تشمبرلين إلى عَقد مؤتمر لتسوية هذه المسألة، وعُقِد هذا المؤتمر في ميونيخ، بين الـ 29 من آب والفاتح من أيلول عام 1938، وحضره زعماء بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، ووُقّعت في ختامه معاهدة ميونيخ التي تضمّنت ضمّ إقليم السوديت إلى ألمانيا. واضطُرّت تشيكوسلوڤاكيا إلى الرضوخ لتلك الشروط، فدخلت القوّات الألمانيّة إقليم السوديت في الأوّل من تشرين الأوّل عام 1938. وتاريخيًّا، كان اجتماع ميونيخ المسمارَ الأخير في نعش السلام الأوروبيّ والعالميّ بصورة عامّة، وذلك لأنّه أعطى دليلًا لهتلر على ضعف فرنسا وتردُّد بريطانيا في الوقوف في وجه أيّ عمل يقوم به مَهما كان، فقرّر ضمّ تشيكوسلوڤاكيا بأكملها إلى ألمانيا في آذار عام 1939، وكان ذلك بمثابة مقدّمة لاندلاع الحرب العالميّة الثانية. ومع نهاية الحرب وهزيمة ألمانيا، استعادت تشيكوسلوڤاكيا الإقليم، وطُرِد معظم السكّان الناطقين بالألمانيّة إلى ألمانيا (شلحت، 2014).

وأصحاب الحقّ في تقرير المصير" (المصدر السابق). وبحسب ذلك، الفلسطينيّون شعب غير قائم، وهو من صنيعة العالم العربيّ الساعي إلى القضاء على إسرائيل (شلحت، 2014، ص 77-78). وتُعتبر هذه أهمّ تصوُّرات نتنياهو الأيديولوجيّة بشأن المسألة الفلسطينيّة.

إسرائيل رأس الحربة في صراع الحضارات

يؤطّر نتنياهو القضيّة الفلسطينيّة في الصراع الحضاريّ والتاريخيّ بين الغرب المسيحيّ والشرق العربيّ الإسلاميّ، ويدّعي -في سرد تاريخيّ مقتضب ومنزوع السياق والتحليل المعمّق- أنّ الصراع التاريخيّ بين المشروع العربيّ ـ الإسلاميّ والمشروع الغربيّ يمتدّ إلى يومنا هذا، وأنّ القضيّة الفلسطينيّة هي جزء أو مركّب من هذا الصراع الحضاريّ ليس إلّا. ويعدّد الإخفاقات التاريخيّة التي مرّ بها العرب والمسلمون، والتي جعلت عداءهم للغرب يتصاعد ويزداد حتّى اليوم، وهو يعيد أو يكرّر تقريبًا سرديّة برنارد لويس في هذا الصدد؛ إذ يَعتبر نتنياهو أنّ العداءَ للغرب وأزمةَ الشرعيّة في العالم العربيّ لهما علاقة بصعود ما يسمّيه "الإسلام المتطرّف" بعد انهيار الدولة العثمانيّة (نتنياهو، 1999، ص 163)، ويرى كذلك أنّ هدف ما يسمّيه هذه المرّة "الإسلام الاصولي" هو:

> سيطرة الإسلام على العالم كلّه، وإلحاق الهزيمة بالكافرين غير المسلمين في حرب مقدّسة [تحت مسمّى الجهاد]، والأهداف الفوريّة الفعليّة لهذا الجهاد، ليست الدول غير الإسلاميّة القويّة التي يَصعب عليهم مهاجمتها بصورة مباشرة، إنّما الدول الإسلاميّة، بالذات. لذا يطمح الأصوليّون إلى الإطاحة بكلّ الحكومات الكافرة في أربعين دولة إسلاميّة، وشطب هذه الدول نهائيًّا ودمجها في دولة إسلاميّة واحدة (المصدر السابق، ص 169).

علاوة على محاولة السيطرة على العالم من خلال الحرب المقدَّسة، تتبنّى الحركات الإسلاميّة كذلك الطريقة الديمقراطيّة للسيطرة على الدول العربيّة والإسلاميّة، إذ يعتبر نتنياهو أنّ مَصدر المطالَبة بالديمقراطيّة في العالم العربيّ هي الحركات الإسلاميّة، وذلك على الرغم من عدم وجود أيّة صلة بين هذه الحركات والديمقراطيّة، وإنّما هدفها هو السيطرة على الأنظمة العربيّة عن طريق الديمقراطيّة (المصدر السابق، ص 154-155).

ويوضّح نتنياهو أنّ دعوة "الأصوليّين الإسلاميّين" إلى استعباد العالم كلّه "تبدو هدفًا بعيدًا جدًّا، ولكن إذا أضفنا عليها تمسُّكهم بالقِيَم الدينيّة، وضمان الجنّة للمؤمنين، تنشأ أمامنا مؤامرة عظيمة" (المصدر السابق، ص 170). ويعتبر نتنياهو أنّ هذه الأيديولوجيّة "اقتُطِعت من التفسير المتشدّد للقرآن الذي يقسم العالم إلى منطقتين: "دار الإسلام، ودار الحرب". كما أنّ القرآن لا يترك مجالًا للشكّ، بالنسبة لاستعلاء المسلمين على الكافرين في

المناطق الخاضعة لسلطة الإسلام، في حين يكلّفهم بإدارة حرب مستمرّة ضدّ الكافرين في الديار الأخرى" (المصدر السابق، ص 171). بناء على كلّ ذلك، يَعْزو نتنياهو رفْضَ العالَم العربيّ لوجود إسرائيل إلى الجذور الإسلاميّة المعادية لليهود، ولإثبات ذلك يَسوق أدلّة هشّة ومفتعَلة، لكنّها غير منفصمة عن مدرسة برنارد لويس الاستشراقيّة، إذ يقول:

> فطيلة مئات السنين، عانى اليهود من الإذلال والمطاردة، على أيدي العرب، وكانوا يُقتلون أحيانًا، كما كان يحدث لأقلّيّات أخرى تعيش في إطار المجتمع الإسلاميّ. ولكن الشعب اليهوديّ، كان هو الوحيد، من بين كلّ هذه الأقلّيّات في العالم العربيّ، الذي نجح في التغلّب على هذا القمع، وتحقيق استقلاله. علاوة على ذلك، استطاع اليهود تأسيس حضارة "أجنبيّة" في قلب المنطقة العربيّة، وفصلوا بين جزأَيْها الشرقيّ والغربيّ. والأسوأ من ذلك كلّه أنّ الشعب الذي أحدَثَ هذا التحدّي الكبير لم يكن عربيًّا ولا مسلمًا، لذا فعداء العرب الحاليّ لإسرائيل، تعود جذوره لعداء سابق، قديم وأساسيّ، وأنّ قيام دولة إسرائيل عزّز هذا العداء فقط (المصدر السابق، ص 171-172).

يدلّ الاقتباس على تحليل كاذب ومشوّه لا لتاريخ اليهود في المجتمع الإسلاميّ فحسْب، وإنّما كذلك لجذور المشروع الصهيونيّ الذي تأسّس في أوروبا وحَمَلَهُ يهود أوروبيّون لا يهود من المشرق العربيّ والإسلاميّ، ولكنْ من الواضح أنّ هذا التأطير الكاذب للتاريخ يرمي إلى تعزيز مقولة أنّ الصراع هو بين اليهود كجزء من الحضارة الغربيّة، والفلسطينيّين كجزء من الحضارة الإسلاميّة، وأنّه من هنا، برأيه، جاءت كراهيَة العرب والمسلمين لإسرائيل؛ أي إنّها كراهيَة غير نابعة من العداء العميق تجاه الغرب فحسب، وإنّما -كما يكتب نتنياهو- "يمكننا أن نفهم بصورة صحيحة، الرفض الشديد الذي يبديه معظم العرب لوجود إسرائيل، فإسرائيل في نظرهم، دولة أسّسها يهود أوروبيّون، ومبنيّة على أساس نموذج الدول الليبراليّة الغربيّة، وتمثّل سلاحًا للدول الغربيّة وأداة يُقصَد بها إلحاق الذلّ والهوان بالأمّة العربيّة من جديد" (المصدر السابق، ص 177).

يستشهد نتنياهو، في تأطيره للقضيّة الفلسطينيّة كصراع غربيّ _ إسلاميّ، بتصريحات قادة عرب قَرَنوا بين الاستعمار الغربيّ وقيام إسرائيل، وإطلاق مسمَّيات تاريخيّة لها علاقة بفلسطين لوصف الصراع مع إسرائيل، على نحو ما نجد في دراسة وخطاب المقارَنة بين إسرائيل ومملكة الصليبيّين في فلسطين، واستعمال اسم "صلاح الدين" في الخطابات العربيّة والفلسطينيّة، كتعليق حافظ الأسد صورة لصلاح الدين الأيّوبيّ على جدار مكتبه، على سبيل المثال، إذ يقول نتنياهو: "إنّ الرغبة في تكرار إنجازات صلاح الدين، في الوقت الحاليّ، كانت دائمًا مصدر وحْي للهجمات المتكرّرة على إسرائيل، والعمل المستمرّ ضدّ

أنظمة الحكم الموالية للغرب، والمحاولات العديدة لإنهاء الوجود الغربيّ في الشرق الأوسط" (المصدر السابق، ص 179-180).

ويصل نتنياهو إلى نتيجة مُفادُها أنّ العداء لإسرائيل ليس نابعًا من كونها دولة مستعمِرة، ولا لكونها دولة يهوديّة، بل هو عداء أوسع للوجود الغربيّ في المنطقة؛ وإسرائيل تمثّل جزءًا من هذا الوجود. في هذا يقول في كتابه:

> الآن نستطيع أن نفهم السبب الذي حالَ، سنة بعد سنة، دون تسوية النزاع العربيّ ـ الإسرائيليّ، فكلّ حروب العرب ضدّ إسرائيل، والأعمال العدائيّة التي قاموا بها ضدّها في فترات ما بين الحروب، تنبع من ثلاث نظريّات ترتبط ببعضها البعض، وتشكّل معًا النواة الحقيقيّة للنزاعات المتعدّدة في الشرق الأوسط: رفض القوميّة العربيّة لوجود أيّة سيادة غير عربيّة في الشرق الأوسط، سعي الإسلام الأصوليّ لتطهير المنطقة من أيّ نفوذ غير إسلاميّ، عداء العالم العربيّ الشديد والتاريخيّ للغرب [...] نرى بوضوح أنّ مصدر رفض وجود إسرائيل، ليس خاصًّا بالدولة اليهوديّة، بل إنّ عداء العرب لإسرائيل هو جزء واحد ضئيل فقط، من عداء أوسع بكثير، كان سيظلّ موجودًا، حتّى لو لم تقم دولة إسرائيل (المصدر السابق، ص 180).

يكرّر نتنياهو، في كتابه "الحرب على الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب المحلّيّ والإرهاب الدوليّ"، الفكرة المركزيّة التي طرحها في كتابه "مكان تحت الشمس"، والتي مُفادُها أنّ العداء لإسرائيل هو جزء من العداء للحضارة الغربيّة. ففي فصل مخصَّص لِما يسمّيه "صعود الإسلام العسكري"، يقول:

> لا يمكن أن نفهم مدى عداء وخطورة الإسلام العسكريّ على الولايات المتّحدة وأوروبا دون الوقوف على جذور الكراهية العربيّة ـ الإسلاميّة للغرب. بسبب السحر المعادي لإسرائيل على وسائل الإعلام في الغرب، هنالك الكثير في أيّامنا ممّن يعتقدون أنّ العداء الشديد المنتشر في العالم العربيّ والإسلاميّ تجاه الولايات المتّحدة هو ظاهرة وُلِدت مؤخَّرًا، نتيجة تأييد الغرب لدولة اليهود، وأنّ هذه العدائيّة ستنتهي عندما يتحقّق السلام بين العرب وإسرائيل، ولكنْ ليس هنالك ما هو أبعد عن الحقيقة من ذلك. جذور العداء للغرب عميقة، تعود إلى مئات السنين من النموّ والصعود، وتشكّل حتّى اليوم القوّةَ الدافعة المركزيّة للثقافة السياسيّة والعسكريّة العربيّة ـ الإسلاميّة. هذه العدائيّة قائمة، وإن لم تكن دولة إسرائيل (نتنياهو، 1996، ص 83).

في الكتاب نفسه يقول: "داعمو الإسلام المتطرّف والقوميّة العربيّة لا يكرهون الغرب بسبب إسرائيل. إنّهم يكرهون إسرائيل بسبب الغرب" (نتنياهو، 1996، ص 88).

الانتصار في صراع الحضارات ودَوْر الدين في الانتصار

على العكس من كتاب "مكان تحت الشمس"، كان الكتاب الذي حرّره عام 1987 والذي حمل العنوان "الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب"، أكثرَ جِدّيّةً في تناوله الأيديولوجيّ لموضوع "الإرهاب"، والذي يطْلقه على حركات المقاومة والتحرُّر الوطنيّ في العالم.[10] وعلى الرغم من أنّ هذا الكتاب نُشِر قبل "مكان تحت الشمس"، فإنّه يتطرّق تطرُّقًا عينيًّا إلى موضوع الإرهاب وعلاقته بالشرق. وشارك في كتابة فصوله شخصيّات أمريكيّة وإسرائيليّة بالأساس، من بينهم برنارد لويس وجورج شولتز ويتسحاق رابين، وكتب مقدّمتَه وخلاصتَه بنيامين نتنياهو، فضلًا عن فصل كتبه والدُهُ بن تْسيون نتنياهو (نتنياهو، 1987). في كتاب نتنياهو عن الإرهاب، يستمرّ في تأطير الصراع حضاريًّا، وذلك من خلال نفيه لإمكانيّة التوصّل إلى حِوار بين الغرب وَ "الإرهابيّين". ففي خلاصة الكتاب لا ينفكّ عن مخاطبة الغرب بأستاذيّة، مشيرًا إلى سذاجتهم في التعامل مع "الإرهاب" القادم من الشرق الإسلاميّ، وإلى تخاذل الغرب في التعاطي مع هذا الموضوع نتيجة تأثيرَيْن سلبيَّيْن: الأوّل أنّ الغرب يفضّل مصالح اقتصاديّة قصيرة المدى مع الشرق دون أخذ الانعكاسات السياسيّة لذلك بعين الاعتبار؛ والثاني غياب الشجاعة السياسيّة في مواجهة الإرهابيّين، حتّى لا يشتدّ غضبهم (المصدر السابق، ص 248-249). لا يكتفي نتنياهو بهذا التفسير الساذج والسطحيّ الذي يفسّر فيه سلوك الغرب تجاه الشرق -وهو بعيد كلّ البعد عن ذلك- بل إنّه يضيف العامل المركزيّ -من ناحيته- لهذا التقاعس، وهو أنّ الغرب يعتقد أنّه من خلال عمليّة سياسيّة يمكن التوصّل إلى تفاهمات مع "الإرهاب"، ويقصد نتنياهو بلا شكّ الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة تحديدًا، حيث انطلقت نصوص كتبها، وبخاصّة تلك التي كتبها أو حرّرها عن الإرهاب، من اعتبار الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة مصدرَ الإرهاب العالميّ؛ إذ يرى نتنياهو أنّ هذا الاعتقاد السائد في الغرب غير صحيح، وأنّه أحد الأخطاء الكبيرة في تعامل الغرب مع "الإرهابيّين"، أي تصوُّر الغرب أنّ العمليّة السياسيّة يمكن أن تحلّ كلّ صراع. وهو يرى أنّ هنالك صراعات لا يمكن حلّها حلًّا سياسيًّا، بل بالمواجهة المستمرّة حتّى حسم المعركة مع الطرف الآخر، ويُسَفِّهُ إعجاب الغرب بأفراد من حركات التحرُّر المستعدّين للموت من أجل أفكارهم، إذ يشبّههم مرّة أخرى بالنازيّة. يقول نتنياهو في هذا الصدد:

10. صدر هذا الكتاب عن معهد "يونتان" لدراسة الإرهاب؛ وهو مركز أسّسته عائلة نتنياهو وأطلقت عليه اسم ابنها يوني الذي لقي مصرعه في العمليّة العسكريّة عنتيبي (أوغندا)، وكان نتنياهو بنيامين مديرًا لهذا المركز.

> نحن نؤمن بقدرة العمليّة السياسيّة على تسكين [تخفيف] كلّ صراع تقريبًا وفي نهاية المطاف يكون حلّه. ونحن نميل إلى إعطاء هذا الاعتقاد للخصم كذلك. ولكن لا خطأ أكبر من الادّعاء أنّ هذا الاعتقاد مشترَك مع الإرهابيّين، الذين يستغلّون لغة السياسة ليقوّضوا أسس المجتمع [...] من الصعب لنا أن نقبل [يقصد الغرب]. وذلك أنّ دوافع الإرهاب تتعارض تمامًا من تصوُّراتنا، وليس ثمّة طريقة للتجسير بينهم وبيننا، حيث يفقد الغرب توازنه ويقف احترامًا عندما يرى الاستعداد للموت -ظاهريًّا- من أجل فكرة. هو يميل إلى التصديق أنّ هذا الاستعداد يستند إلى فكرة، مُحقّة، على الأقلّ في جزء منها. ولكنْ نظرةٌ خاطفة في التاريخ تعلّمنا إلى أيّ مدى هذا التوجُّه خاطئ وخطير. لا توجد أمثلة أفضل لمقاتلين أو حركات، كانوا مستعدّين للتضحية بحياتهم من أجل "هدف سامٍ" -ظاهريًّا- مثل طيّاري الكاميكاز اليابانيّين وحركة الشباب الهتلريّة (المصدر السابق، ص 249).

في نهاية المطاف، يهدف نتنياهو إلى نزع كلّ صفة إنسانيّة عن أبناء حركات التحرُّر في الشرق، عن أهدافهم، وأفكارهم، وأدوات نضالهم، وحياتهم، وقيمهم، بل عن مجرّد وجودهم كذلك، وذلك من خلال وضعهم في موقع نقيض كامل للحضارة الغربيّة. لذا، فمَهَمّة نتنياهو تذكير الحضارة الغربيّة بسذاجتها وتقريعها على ذلك، وتَسْفيه تعاطفها مع الآخر، وإنْ لم تكن تؤيّده. فحتّى الإعجاب والتعاطف دون التأييد غير مسموح لدى نتنياهو، وهو بذلك يرمي إلى نزع إنسانيّة الغرب أيضًا، حتّى تكون المعركة بين الشرق "الإرهابيّ" والغرب "المتنوّر" صراعًا تضادّيًّا لا مكان فيه لتسوية سياسيّة، ولا لغة مشتركة بينهم، ولا يحتمل مشاعر الضعف (التعاطف أو الإعجاب)، وبالتالي الحلّ الوحيد لهذا الصراع هو حسمه بالقوّة وإخضاع الآخَر بلا رحمة. ومن هذه النقطة يمكن فهم الخطاب الإسرائيليّ الذي يتّهم الفلسطينيّ بالتحريض، فسرديّة الفلسطينيّ هي بالنسبة لنتنياهو تحريض، وإنسانيّة الفلسطينيّ مزيَّفة، وحقوق الفلسطينيّين كذبة، وهكذا ننتهي. يرى منطق نتنياهو أنّ وجود الفلسطينيّ نفسه هو تحريض وخطَر على الوجود اليهوديّ في فلسطين، بكونه وجودًا غربيًّا. وهنا تظهر العلاقة في فكر نتنياهو بين المشروع الصهيونيّ كمشروع استعماريّ استيطانيّ وخطابه الاستشراقيّ، فمن أدوات الاستعمار الاستيطانيّ نفيُ الواقعين تحت الاستعمار ومحوُهم، ثقافيًّا ووجوديًّا -وهكذا تعاملت الحركة الصهيونيّة مع الفلسطينيّين في فلسطين-، ونفيُهم من خلال قطع العلاقة بينهم وبين الأرض ووطنهم، ونفي حقّهم في تقرير المصير كسائر الشعوب (بشارة، 1997).

بناء على هذا التأطير للصراع على أنّه صراع حضاريّ محتوم، يعطي نتنياهو لنفسه دَوْر

"المخلّص" للشعب اليهوديّ ولدولة إسرائيل، ولا ينفي عن هذا الدور البعد الدينيّ كلّيًّا. نتنياهو ليس بشخص متديّن، ولكنّه يستند في أفكاره إلى مرجعيّة دينيّة، وهو يرى في النصوص الدينيّة أحد مصادر قوّة الشعب اليهوديّ؛ ففي أحد تصريحاته خلال لقاء ينظّمه سنويًّا في بيته لمنتدى التوراة على اسم "شموئيل بن أرتسي"، والد زوجته سارة، وخلال اللقاء الذي جمعهم في بيته في تشرين الأوّل عام 2017، قال نتنياهو: "لا وجود يهوديّ بدون التوراة، وبرأيي ليس هنالك مستقبل يهوديّ بدون التوراة، هذا الأساس الأوّل والأعلى الذي نقف عليه، هنالك من يحاول أن يهدم هذا الأساس، وبعون الله يمكن القول إنّنا نقف بثبات [ضدّ ذلك]" (ليس، 2017، 10 تشرين الأوّل، ص 1). ويُعَدّ منتدى التوراة تقليدًا قام به بن چوريون وأكمله بيچن بعد صعوده إلى الحكم، وجدّده نتنياهو وزوجته بالتعاون مع مركز ميراث بيچن، ولا سيّما أنّ المنتدى على اسم والد زوجته.

وينظر نتنياهو إلى نفسه على أنّه المخلّص لدولة إسرائيل وضامن مستقبلها؛ إذ خلال استحضاره المعهود للمفارَقات التاريخيّة، أشار نتنياهو في جلسته المذكورة في منتدى التوراة إلى أنّ دولة الحشمونائيّين[11] صمدت 80 عامًا، وأنّه يعمل على أن تحتفل إسرائيل بعيدها المئويّ، حيث أشار قائلًا: "وجودنا غير مفهوم ضمنًا، وسنعمل كلّ شيء للدفاع عن الدولة، فقد صمدت دولة الحشمونائيّين 80 عامًا، وعلينا تجاوز هذا الرقْم" (المصدر السابق).

بناء على ذلك، تستند رؤية نتنياهو إلى تعزيز الطابع اليهوديّ للدولة على حساب الهُويّة الإسرائيليّة. يرى الكاتب الإسرائيليّ ألون عيدان أنّ نتنياهو "يكره إسرائيل بمعنى، يكره الثوب الإسرائيليّ الذي أُلبس على الجوهر اليهوديّ؛ فمن وجهة نظره، يخفي هذا الوشاح حقيقة أساسيّة: إسرائيل وُجِدت لليهود فقط" (عيدان، 2017، 13 كانون الثاني). وكما يشير عيدان، نتنياهو في سبيل هذا الهدف حدّد حلفاءه: الصهيونيّة الدينيّة واليهود الشرقيّين؛ إذ إنّ الهُويّة اليهوديّة لدى هاتين الفئتين أهمّ من الهُويّة الإسرائيليّة، وهما مستعدّتان للمُضِيّ مع نتنياهو في سبيل تحقيق هذا الهدف: تقليص الهُويّة الإسرائيليّة وتضخيم الهُويّة اليهوديّة في تعريف إسرائيل لذاتها، وبَلْوَرة أهدافها. في هذا الصدد، لا بدّ من الإشارة أنّ نتنياهو أدرك القوّة السياسيّة والانتخابيّة الكامنة في استقطاب الشرقيّين من خلال تعزيز سياسات الهُويّة، فهو يدرك كيف يفعّل سياسات الهُويّة معهم، كونه يشترك معهم في الشعور بالملاحَقة التاريخيّة من طرف النُّخَب اليساريّة القديمة، فقد ورث هذا الشعور من

11. تفيد المصادر التاريخيّة اليهوديّة أنّ دولة الحشمونائيّين هي دولة يهوديّة في أرض فلسطين، امتدّ عمرها من عام 140 قبل الميلاد إلى 63 قبل الميلاد، أي إنّها عُمّرت 77 عامًا. وقد بدأت مع تمرّد الحشمونائيّين الذين أقاموا نوعًا من الحكم الذاتيّ، ومن ثَمّ دولةً مستقلّة، وتُعَدّ في التاريخ الصهيونيّ الدولةَ اليهوديّة المستقلّة منذ الخراب الأوّل للهيكل حتّى إقامة دولة إسرائيل. ويرتبط نتنياهو بصورة شخصيّة بهذه الفترة؛ ففي فترة حكمه الأولى فُتِح النفق تحت المسجد الأقصى المبارك، وهو ما سُمّي في الأدبيّات اليهوديّة نفق الحشمونائيّين، والذي أدّى الاحتجاج عليه إلى اندلاع انتفاضة فلسطينيّة. (روزنبرج، د.ت.)

والده المؤرّخ بن تْسيون نتنياهو، ولذا فتشديده على الهُويّة اليهوديّة (على نحوِ ما تجلّى ذلك في قانون القوميّة -على سبيل المثال) هو جزء من توجُّه أيديولوجيّ غير منفصم عن سلوك انتهازيّ في تكريس التحالف بينه وبين الشرقيّين والصهيونيّة الدينيّة.

خاتمة ونقاش

رمى هذا الفصل إلى تقديم قراءة تحليليّة لبنيامين نتنياهو، فكرًا وأيديولوجيّةً وسلوكًا سياسيًّا، بوصفه قائدًا انطلق في صياغة منظومته الفكريّة من المقولات التأسيسيّة للفكر الصهيونيّ عمومًا، ومن فكر اليمين التنقيحيّ على وجه الخصوص. لم تكن أفكاره في العموم منفصمة عن هذه الأرضيّة السياسيّة والفكريّة؛ فهو كولونياليٌّ (أي استعماريّ _ استيطانيّ) في تعاطيه مع الفلسطينيّين ومع القضيّة الفلسطينيّة وحقّ تقرير المصير للشعب الفلسطينيّ، واستشراقيٌّ قديم وتقليديّ في فكره وفي مقاربته للشعوب العربيّة، والإسلام والثقافة العربيّة _ الإسلاميّة، ويحمل توجُّهًا سلطويًّا في الممارسة السياسيّة. ولكن في هذه المسائل الثلاث لا نجد أنّ نتنياهو يختلف عن مجْمَل الفكر الصهيونيّ، مع إدراكنا لمدى وعمق التباين الذي أنتجه المشروع الصهيونيّ في صفوف اليهود في فلسطين والعالَم. بَيْدَ أنّ نتنياهو يقدّم مدماكًا جديدًا للفكر الصهيونيّ، وهو اعتباره أنّ الصراع الذي خاضته الحركة الصهيونيّة مع الفلسطينيّين والعرب، لتنفيذ مشروعها في فلسطين، هو جزء من صراع حضاريّ تاريخيّ ودينيّ بين الحضارةِ الغربيّة التي تعتمد على التراث المسيحيّ _ اليهوديّ، والحضارةِ العربيّة _ الإسلاميّة التي تعتمد على الإسلام. وبناء على هذه المقارَبة الحضاريّة، فإنّ الحركة الصهيونيّة لم تحمل مشروعًا تحديثيًّا للشعب الفلسطينيّ في وطنه، بل هي رأس الحربة في الصراع الحضاريّ مع العرب والمسلمين.

لا تنفصل المميّزات العامّة لنتنياهو (كولونياليّته واستشراقيّته وسلطويّته) عن هذه المقاربة الحضاريّة للصراع؛ إذ إنّ جميع هذه المميّزات هي جزء من الصراع الحضاريّ الذي يؤطّره نتنياهو. فالمشروع الكولونياليّ الصهيونيّ في فلسطين كان يرمي إلى تأسيس دولة غير عربيّة وغير إسلاميّة في قلب المنطقة العربيّة _ الإسلاميّة، ممّا أحدَثَ برأيه صدمة حضاريّة وتاريخيّة جديدة للعرب والمسلمين تضاف إلى الصدمة الكبيرة من انهيار الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة، وصعود الحضارة الغربيّة. لذا، يرى أنّ حقد العرب والمسلمين على اليهود وإسرائيل غير نابع من وجود هذه الدولة فحسب، بل هو في أساسه عداء للحضارة الغربيّة التي زرعت هذا المشروع في المنطقة العربيّة _ الإسلاميّة، ومن ثَمّ فعداء العرب والمسلمين لإسرائيل هو جزء من عدائهم للحضارة الغربيّة.

ويرتبط الجانب الاستشراقيّ في فكر نتنياهو بتأطيره للصراع على أنّه صراع حضاريّ، من خلال

مثابرته في الادّعاء في كتبه أنّ الثقافة العربيّة والإسلاميّة هي نقيض الثقافة الغربيّة؛ فالثقافة العربيّة في جوهرها عنيفة، والإسلام غير متسامح مع الآخرين، والشعوب العربيّة لا تقبل الولاء إلّا للقبيلة، والديمقراطيّة لا يمكن أن تكون نظامًا سياسيًّا في المجتمعات العربيّة. في هذا الشأن، لا بدّ من التأكيد أنّ الاستشراق الذي يتبنّاه نتنياهو، كأداة تحليل ومقاربة للعرب والمسلمين، هو من نوع الاستشراق الذي ارتبط بالكولونياليّة في القرن التاسع عشر (سعيد، 2017). المقاربة الاستشراقيّة لنتنياهو ليست دعائيّة في خدمة مشروع سياسيّ، بل هي مقاربة استشراقيّة مقتنعة بوجود التناقض بين الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة والحضارة الغربيّة، وبأنّ الصراع بينهما هو صراع متجذّر حتميّ أبديّ لا يقبل التسوية. لذا، فإنّ الحلّ لهذا الصراع يكون من خلال تبنّي العرب والمسلمين الحضارة الغربيّة، وفي مركزها دولةُ إسرائيل والمشروعُ الصهيونيّ اللذان هما نتاجُ وأحدُ أسس هذه الحضارة.

أهمّ ما يعنيه تأطير الصراع بين المشروعِ الكولونياليّ الاستيطانيّ الصهيونيّ في فلسطين، والحركةِ الوطنية الفلسطينيّة، ضمن منظومة صراع الحضارات، هو أنّ هذا الصراع حتميّ وغير قابل للحلّ. في الصراع الحضاريّ، يكون الحلّ إمّا بتغييب أحد أطراف الصراع جسديًّا أو بتغييبه حضاريًّا. وبما أنّ حسمه بالإبادة غير وارد، حسب نتنياهو من طرف الحضارة الغربيّة، ولكنّه مشروع في الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة، فإنّ الحلّ المثاليّ لهذا الصراع هو نزع هذه الحضارة عن حامليها. وفي سياق المشروع الفلسطينيّ المعادي للمشروع الصهيونيّ، كجزء من الحضارة الغربيّة، يكون الحلّ بتقبُّلِ الفلسطينيّين الرواية الصهيونيّة للصراع، والخضوعِ للمشروع الصهيونيّ والإقرارِ بأحقّيّته التاريخيّة والسياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة، وبرسالته التحديثيّة في فلسطين وعليها. لذا، عندما يدّعي نتنياهو أنّ جوهر الصراع يكمن في عدم الاعتراف بالدولة اليهوديّة لا بالاحتلال، فإنّه ينسجم من هذا التأطير الذي يطرحه للصراع. فمن جانبه، يمكن الوصول إلى حلّ للصراع باعتراف الفلسطينيّين بالدولة اليهوديّة، لا على أنّها كيان سياسيّ واقعيّ، بل على أنّها مشروع له شرعيّة وصدقيّة أخلاقيّة وتاريخيّة. ومطلب الاعتراف بالدولة اليهوديّة لا ينحصر في الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة والشعب الفلسطينيّ في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967 والشتات، وإنّما يشمل كذلك اعتراف المواطنين الفلسطينيّين في مناطق عام 1948، وما ينطبق على الفلسطينيّين يجب أن يسري -بمنطق نتنياهو- على العرب والمسلمين. معنى هذا أنّ بداية الانتصار الحضاريّ للغرب على الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة يتحقّق باعتراف الأخيرة بالمشروع الصهيونيّ، إذ إنّها بهذا الاعتراف تنفي جوهرها، فضلًا عن أنّ اعتراف الفلسطينيّين بهذا المشروع ينفي المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ. ومن هنا تنبع رؤية نتنياهو بشأن مركزيّة التحالف بين الغرب والمشروع الصهيونيّ، في الصراع المشترَك مع الحضارة العربيّة _ الإسلاميّة، بهدف الانتصار عليها، ولكن تبقى المشكلة برأيه أنّه هنالك "قلائل فقط في الغرب عارفون بجذور هذا الصراع".

المَراجع

أدِيرِت، عوفِر. (2015، 21 تشرين الأوّل). مؤرّخون: إبادة اليهود الجماعيّة بدأت قبل لقاء هتلر والحسيني بشهور. **هآرتس**. [بالعبريّة]. مستقاة من:

https://www.haaretz.co.il/news/education/2015-10-21/ty-article/.premium/0000017f-eb71-d639-af7f-ebf75c5e0000.

بشارة، عزمي. (1997). مائة عام من الصهيونيّة، من جدليّة الوجود إلى جدليّة الجوهر. **مجلّة الكرمل**، 53. ص 11- 20.

رافِد، أحِيّا. (2015، 21 تشرين الأوّل). نتنياهو: هتلر لم يرغب بإبادة اليهود في ذلك الوقت، الحسيني أقنعه؛ مؤرّخون: غير صحيح. **واينت**. [بالعبريّة]. مستقاة من:

https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4714274,00.html

روزنْبِرج، يهوشواع مِناحِم. (د. ت.). حشمونائيين. **الموسوعة اليهوديّة**. [بالعبريّة]

رويترز. (2015، 21 تشرين الأوّل). ألمانيا لنتنياهو: "مسؤوليّة الكارثة هي علينا. ليس ثمّة سبب لتغيير ذلك". **والّا**. [بالعبريّة]. مستقاة من: https://news.walla.co.il/item/2899501

سعدي، محمّد. (2006). **مستقبل العلاقات الدوليّة من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

سعيد، إدوارد. (2017). **الاستشراق: المفاهيم الغربيّة للشرق** (ترجمة محمّد عناني). القاهرة: دار رؤية.

شلحت، أنطوان. (2014). **بنيامين نتنياهو وعقيدة اللا_حلّ**. رام الله: المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة – مدار.

عيدان، ألون. (2017، 13 كانون الثاني). نتنياهو يكره الإسرائيليّين. **هآرتس**- الملحق. ص 8. [بالعبريّة]

لويس، برنارد. (1987). إرهاب إسلاميّ؟. لدى: نتنياهو، بنيامين (محرّر). **الإرهاب: كيف يستطيع الغرب الانتصار** (ص 85-89). تل أبيب: مكتبة معريف. [بالعبريّة]

ليس، يهونتان. (2017، 10 تشرين الأوّل). نتنياهو: صمد الحشمونائيّون 80 عامًا، علينا أن نضمن أن نحتفل بِـ 100 [عام]. **هآرتس**. ص 1 وَ 4. [بالعبريّة]

مصطفى، مهنّد. (2018). **بنيامين نتنياهو: إعادة إنتاج المشروع الصهيونيّ ضمن منظومة صدام الحضارات**. إستنبول: مركز رؤية للتنمية السياسيّة.

نتنياهو، بنيامين. (1987). **الإرهاب: كيف ستنتصر الأنظمة الديمقراطيّة على الإرهاب**. تل أبيب: معهد يونتان. [بالعبريّة]

نتنياهو، بنيامين. (1996). **الحرب على الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب المحلّيّ والإرهاب الدوليّ** (ترجمه إلى العبريّة باروخ كوروت). تل أبيب: يديعوت أحرونوت. [بالعبريّة]

نتنياهو، بنيامين. (1999). **مكان تحت الشمس** (الطبعة الرابعة) (ترجمة محمّد الدويري). عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينيّة.

اليونسكو؛ والكونغرس اليهوديّ العالميّ. (د.ت.). من هو أدولف أيخمان؟ **حقائق عن الهولوكوست**. مستقاة بتاريخ (2023/1/1)، من:
https//:aboutholocaust.org/ar/facts/mn-hw-adwlf-aykhman

Beckles Willso, Rachel. (2013). **Orientalism and musical mission: Palestine and the west**. Cambridge: Cambridge University Press.

Behdad Ali, & Gartlan Luke. (2013). **Photography's orientalism: New essays on colonial representation**. Los Angles: Getty Research Institute.

Burke, Edmund, & Prochaska, David (Eds.). (2008). **Genealogies of orientalism: History, theory, politics**. Lincoln: University of Nebraska Press.

Harlow, Barbara, & Carter, Mia (Eds.). (1999). **Imperialism and orientalism: A documentary sourcebook**. New Jersey: Wiley.

Huntington, Samuel.(1993). The clash of civilization? **Foreign Affairs**, 72(3). Pp. 22-49.

Huntington, Samuel .(1996).**The clash of civilizations and the remarking of world order** .New York: Simon and Schuster.

Laffey, John F. (1969). Roots of French imperialism in the nineteenth century: The case of Lyon. **French Historical Studies**, 6. Pp. 78-92.

Lockman, Zachary. (2009). **Contending visions of the Middle East**. New York: Cambridge University Press.

Nash J. P., (1930). The connection of oriental studies with commerce, art, and literature during the 18th and 19th centuries. **Manchester Egyptian and Oriental Society**, 15. Pp. 9-33.

Netanyahu, Benjamin .(1993) .**A durable peace: Israel and its place among the nations**. New York: Warner Books Editions.

Sa`di, Ahmad. (1997). Modernization as an explanatory discourse of Zionist -Palestinian relations. **British Journal of Middle Eastern Studies**, 24 (1). Pp. 25-48.

Westlake, John. (1894). **Chapters on the principles of international law**. London: C.J. Clay and sons, Cambridge University Press Warehouse.

يأتي هذا الكتاب حصيلةً للمشروع الذي بادر إليه مدى الكرمل، والذي جمع من خلاله كوكبةً من الأكاديميّين والمحاضرين وطلبة دراسات عليا فلسطينيّين يدرسون في جميع أنحاء فلسطين ضمن ثلاث ورشات دراسيّة امتدّت كلّ منها على مدار سنة. جمَعَ هؤلاء الباحثين الانشغالُ السياسيُّ والأكاديميُّ في فهم الصهيونيّة بوصفها مشروع استعمار استيطانيّ، وفي بحث آليّات هذا المشروع وفرضيّاته وأُسُسه الفكريّة والدينيّة والسياسيّة. كذلك ناقشت الورشات التحوّلات التي مرّ ويمرّ فيها المشروع الصهيونيّ جرّاء فشله، منذ بداياته الأولى، في إخضاع المقاومة الفلسطينيّة المستمرّة على جميع أشكالها.

يأتي كُتّاب وكاتبات المقالات من حقول معرفيّة مختلفة، ويعيشون سياقات جغرافيّة وسياسيّة وقانونيّة وأكاديميّة مختلفة. قارَبَ بعض الكتّاب الصهيونيّةَ ومشروعَها الاستعماريَّ مقارَبةً تاريخيّة، بينما قرأها آخَرون من زاوية ممارساتها على من يعيش في ظلّ منظومتها إمّا داخل أرضه، وإمّا مهجَّرًا داخل بلده، أو خارجها. بعض المقالات بحثت في مقاومة المشروع، أو في الوعي المقاوِم لهذا المشروع. وقد عُنِيَ بعضها الآخَر بتحليل المنظومة نفسها، واشتباك بُعدها الاستعماريّ الاستيطانيّ مع البعدَيْن الدينيّ والقوميّ أو الإنتاج المعرفيّ حولها من قِبل مؤسَّستها الأكاديميّة أو مقاوميها. وقد قرأتْ بعضُ المقالات هذا المشروعَ قراءةً مقارِنةً مع سياقات عربيّة أو عالميّة أخرى.

يُسهم الكتاب في النقاش الدائر حول مكان دراسات الاستعمار الاستيطانيّ في فهم طبيعة الدولة الإسرائيليّة، وفي تطوير إستراتيجيّات فلسطينيّة للتحرُّر على ضوء هذا الفهم.

مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، هو مؤسسة بحثية مستقلة غير ربحية تأسست عام 2000 في مدينة حيفا. يهتم مدى الكرمل بالتنمية البشرية والقومية في المجتمع، ويهدف إلى تشجيع البحث التطبيقي والنظري حول الفلسطينيين في إسرائيل. ويركز مدى الكرمل على سياسة الحكومة والاحتياجات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل وعلى الهوية القومية والمواطنة الديمقراطية. ويسعى المركز إلى توفير قاعدة مؤسساتية ومناخ فكري لدراسة احتياجات الفلسطينيين في إسرائيل ومستقبلهم الجماعي وعلاقتهم بإسرائيل وبباقي أجزاء الشعب الفلسطيني والعالم العربي. كما يسعى إلى تدريب جيل جديد من علماء الاجتماع والسياسة الفلسطينيين على توجهات نقدية في الدراسات الفلسطينية والإسرائيلية.

Zionism and Settler Colonialism: Palestinian Approaches
Edited by: Nadim N. Rouhana and Areen Hawari
ISBN: 978-965-7308-28-8